مصارحة لـ «ضبط» المسار

لم يتوقّف المواطنون، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة طويلاً عند اللقاء الرابع لوزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، مع عدد من الشخصيات الفلسطينية الذي عُقد في ١٤ أيار (مايو) ١٩٩١. فبعد ثلاث جولات متماثلة من الحوار أُحيطت بقدر من الآمال بايجاد مداخل واقعية لحل سياسي للمسألة الفلسطينية ينهي الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، بات واضحاً ان واشنطن ليست على استعداد لممارسة أية ضغوط على اسرائيل، لحملها على تقديم تنازلات من شأنها تحقيق الاهداف المطلوبة، وتأمين حل تقبل به جميع أطراف النزاع في المنطقة. ومنذ غادر بيكر القدس، لم يعد الفلسطينيون يحلمون بتحقيق تقدّم ملموس من خلال جولات مقبلة للوزير الاميركي، أو لمبعوثين أميركيين آخرين، طالما بقيت الادارة الاميركية على موقفها الحالي.

هذه الاستخلاصات سرّعت بانتقال الاهتمام الفلسطيني العام، في الضفة والقطاع، من متابعة تطوّرات المساعي السياسية الى الخوض في تقليب الاوضاع الذاتية على غير مستوى. فارتفعت نبرة الجدل بين اطراف وشخصيات عدّة حول تجربة الانتفاضة، وواقعها، ومستقبلها، ومظاهرها الراهنة. وبعد شهرين من الحوارات الهادئة، التي توسّعت تدريجاً، دخلت شخصيات سياسية، وثقافية، ونقابية، ونسائية، دائرة الحوار المفتوح الذي بدا أشبه بـ «غلاسنوست» فلسطيني، هو الاول من نوعه، حيث رافقه دعوات الى التغيير على المستوى المحلي بما يتناسب والظروف الخاصة في الضفة والقطاع. وقد وفّرت الظروف العامّة على الساحة الوطنية الفلسطينية، بما تتمتّع به من هوامش ديمقراطية، الفرصة لاطلاق وجهات نظر واجتهادات في اطار البحث عن حلول لبعض مشكلات الانتفاضة خصوصاً، والمشكلات السياسية المتعلّقة بالوضع الفلسطيني عموماً.

أُجريت الحوارات على صفحات الصحف الفلسطينية الصادرة في القدس، اضافة الى عدد من الندوات التي خصصت للغرض عينه. وتمّت على الرغم من الرقابة التي فرضتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية، حتى ان بعض الصحف قرّر المخاطرة وعدم الرجوع الى الرقيب العسكري الاسرائيلي في نشر المقالات المتعلّقة بالامور الداخلية الفلسطينية، لا سيما التي انتقدت ظواهر في المجتمع الفلسطيني، ممّا بات يشكّل وجهاً، أو ملمحاً من ملامح الانتفاضة راهناً. لكن سلطات الاحتلال لم تتنحّ تماماً، وأكدت انها تخشى ندوات الحوار عندما منعت عقدها وشطب الرقيب العسكري الاسرائيلي من الصحف أخباراً عن عقد ندوات أخرى على مسرح الحكواتي في القدس الشرقية (ربى الحصري، «القدس تفتح باب الحوار لتصحيح مسار الانتفاضة»، **الحياة**، لندن، ١٣/٦/١٩٩١).

في سياق الحوارات هذه، أعطى سيل من التقارير الصحافية الانطباع بأن نشطاء فلسطينيين، على مستوى عال، أخذوا يُجمعون، بعد ٤٢ شهراً على انطلاقة الانتفاضة، على تراجعها وركودها، وثمّة من تحدّث عن سيرها «في اتجاه خاطىء». وقد أخذت عبارات مثل «إعادة تقويم» و«ديمقراطية» و«محرّمات» (طابو) و«تراجع» وغيرها، تتردّد بكثرة، على ألسنة المتحاورين (جون ايمانويل، «الفلسطينيون يعيدون النظر في الانتفاضة»، **جيروزاليم بوست**، ٩/٦/١٩٩١).

انطلقت موجات النقد الأعلى نبرة من بين صفوف مؤيدي «فتح» ممّن قضوا فترات في سجون الاحتلال الاسرائيلي (داود كتّاب، «قلق على الانتفاضة»، **ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٤٠٢، ١٤/٤/١٩٩١). وترافقت مع دعوات الى فتح أبواب المؤسسات الوطنية أمام الصحافة الفلسطينية، لا سيما المحلية، لكي «يعلم الفلسطينيون، في الاراضي